٢٠- باب في الدلالة عَلَى خير والدعاء إِلَى هدى أَوْ ضلالة

قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ ﴾ [القصص : ٨٧] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَة ﴾ [النحل : ١٢٥] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ [المائدة :٢] ، وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ [آل عمران :١٠٤] .

- **قَالَ تَعَالَى : ﴿ وَادْعُ إِلَى رَبِّكَ ﴾ .**

أي : ادع الناس إلى الله، وإلى توحيده، والعمل بفرائضه، واجتناب معاصيه .

- **قال ابن كثير** : (وَادْعُ إِلَى رَبّك) أَيْ : إِلَى عِبَادَة رَبّك وَحْده لَا شَرِيك لَهُ " وَلَا تَكُونَن مِنْ الْمُشْرِكِين .
- **قال السعدي** : أي اجعل الدعوة إلى ربك منتهى قصدك وغاية عملك، فكل ما خالف ذلك فارفضه، من رياء، أو سمعة، أو موافقة أغراض أهل الباطل .
- **قال ابن عاشور** : والأمر في قوله (وادع إلى ربّك) مستعمل في الأمر بالدوام على الدعوة إلى الله لا إلى إيجاد الدعوة لأن ذلك حاصل، أي لا يصرفك إعراض المشركين عن إعادة دعوتهم إعذاراً لهم.
- **قال المجدد محمد بن عبد الوهاب** : التنبيه على الإخلاص، لأن كثيراً لو دعا إلى الحق، فهو يدعو إلى نفسه.

- **وَقَالَ تَعَالَى : ﴿ ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَة ﴾ .**

- **قال ابن القيم** : جعل سبحانه مراتب الدعوة بحسب مراتب الخلق :

فالمستجيب القابل الذكي الذي لا يعاند الحق ولا يأباه ، يدعى بطريق الحكمة .

والقابل الذي عنده نوع غفلة وتأخر ، يدعى بالموعظة الحسنة ، وهي الأمر والنهي المقرون بالرغبة والرهبة .

والمعاند الجاحد ، يجادل بالتي هي أحسن ، هذا هو الصحيح في معنى هذه الآية .

- **قال الشوكاني** : ثم أمر الله سبحانه رسوله أن يدعو أمته إلى الإسلام فقال (ادع إلى سَبِيلِ رَبّكَ) وحذف المفعول للتعميم ، لكونه بعث إلى الناس كافة ، وسبيل الله هو الإسلام (بالحكمة) أي : بالمقالة المحكمة الصحيحة ، قيل : وهي الحجج القطعية المفيدة لليقين (والموعظة الحسنة) وهي المقالة المشتملة على الموعظة الحسنة التي يستحسنها السامع ، وتكون في نفسها حسنة باعتبار انتفاع السامع بها ، قيل : وهي الحجج الظنية الإقناعية الموجبة للتصديق بمقدّمات مقبولة.

قيل : وليس للدعوة إلاّ هاتان الطريقتان ، ولكن الداعي قد يحتاج مع الخصم الألدّ إلى استعمال المعارضة والمناقضة ، ونحو ذلك من الجدل ، ولهذا قال سبحانه (وجادلهم بالتي هِيَ أَحْسَنُ) أي : بالطريق التي هي أحسن طرق المجادلة.

- **قال الشنقيطي** : ونظير ما ذكر هنا من المجادلة بالتي هي أحسن : قوله لموسى وهارون في شأن فرعون (فَقُولاَ لَهُ قَوْلاً لَّيِّناً لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يخشى) ومن ذلك القول اللين : قول موسى له (فَقُلْ هَل لَّكَ إِلى أَن تزكى وَأَهْدِيَكَ إِلى رَبّكَ فتخشى) .

- **وَقَالَ تَعَالَى : ﴿وَتَعَاوَنُوا عَلَى الْبِرِّ وَالتَّقْوَى ﴾ .**

أي : ليعن بعضكم بعضاً على البر والتقوى .

- والبر والتقوى من الأسماء التي إذا أفرد كل منهما تضمن معنى الآخر ، وإذا اجتمعا حمل كل منهما على معنى يخصه ، كالإسلام والإيمان ، والفقير والمسكين .

فالمراد بالبر في هذه الآية فعل ما أمر الله به من الواجبات والمستحبات من أنواع والطاعات ، والتقوى : هي أن يجعل الإنسان بينه وبين عذاب الله وقاية بترك المحرمات .

- **قال ابن كثير:** يأمر تعالى عباده المؤمنين بالمعاونة على فعل الخيرات، وهو البرُّ، وترك المنكرات وهو التَّقوى، وينهاهم عن التَّناصر على الباطل، والتَّعاون على المآثم والمحارم .
- **وقال القرطبيُّ** : هو أمرٌ لجميع الخَلْق بالتَّعاون على البرِّ والتَّقوى، أي ليُعن بعضكم بعضًا، وتحاثُّوا على ما أمر الله تعالى واعملوا به، وانتهوا عمَّا نهى الله عنه وامتنعوا منه، وهذا موافقٌ لما رُوِي عن النَّبيِّ ﷺ أنَّه قال: (الدَّالُّ على الخير كفاعله) .
- **قال السعدي** : فإنَّ في اجتماع المسلمين على دينهم، وائتلاف قلوبهم يصلح دينهم وتصلح دنياهم، وبالاجتماع يتمكَّنون .

- **وَقالَ تَعَالَى : ﴿ وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ ﴾ .**

أي: وليكن منكم أيها المؤمنون الذين مَنَّ الله عليهم بالإيمان والاعتصام بحبله ، جماعة يدعون الناس إلى الخير .

والخير : هو اسم جامع لكل ما يقرب إلى الله ويبعد من سخطه .

- **قال السعدي** : (ولتكن منكم أمة) إلخ, أي: لتكن منكم جماعة يحصل المقصود بهم في هذه الأشياء المذكورة، ومن المعلوم المتقرر أن الأمر بالشيء أمر به وبما لا يتم إلا به فكل ما تتوقف هذه الأشياء عليه فهو مأمور به، كالاستعداد للجهاد بأنواع العدد التي يحصل بها نكاية الأعداء وعز الإسلام، وتعلم العلم الذي يحصل به الدعوة إلى الخير وسائلها ومقاصدها، وبناء المدارس للإرشاد والعلم، ومساعدة النواب ومعاونتهم على تنفيذ الشرع في الناس بالقول والفعل والمال، وغير ذلك مما تتوقف هذه الأمور عليه، وهذه الطائفة المستعدة للدعوة إلى الخير والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر هم خواص المؤمنين .
- فائدة : الأمة في القرآن تطلق على معان :

منها : الجماعة من الناس .

كما في قوله تعالى (وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولاً أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) . وقوله تعالى (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ رَسُولٌ) .

ومنها : الإمام في الدين المقتدى به .

كما في قوله تعالى (إِنَّ إِبْرَاهِيمَ كَانَ أُمَّةً) .

ومنها : البرهة من الزمن .

كما في قوله تعالى (وَقَالَ الَّذِي نَجَا مِنْهُمَا وَادَّكَرَ بَعْدَ أُمَّةٍ) أي : تذكر بعد بُرهة من الزمن .

وكقوله تعالى (وَلَئِنْ أَخَّرْنَا عَنْهُمُ الْعَذَابَ إِلَى أُمَّةٍ مَعْدُودَةٍ) أي : إلى قطعة من الزمن معينة .

ومنها : الشريعة والدين .

كقوله تعالى (إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ) أي : على شريعة وملة ودين .

١٧٣- وعن أَبي مسعود عُقبةَ بنِ عمرو الأنصاري البدري ﷺ ، قَالَ : قَالَ رسولُ الله ﷺ : « مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْرٍ فَلَهُ مِثْلُ أجْرِ فَاعِلِهِ » رواه مسلم .

١- الحديث دليل على فضل من دل خير ، وأنه له مثل أجر فاعله .

وقد روى الترمذي عَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ (أَتَى النَّبِيَّ ﷺ رَجُلٌ يَسْتَحْمِلُهُ فَلَمْ يَجِدْ عِنْدَهُ مَا يَتَحَمَّلُهُ فَدَلَّهُ عَلَى آخَرَ فَحَمَلَهُ.

فَأَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَأَخْبَرَهُ فَقَالَ « إِنَّ الدَّالَّ عَلَى الْخَيْرِ كَفَاعِلِهِ) .

قال النووي : فِيهِ : فَضِيلَة الدَّلَالَة عَلَى الْخَيْر وَالتَّنْبِيه عَلَيْهِ ، وَالْمُسَاعَدَة لِفَاعِلِهِ ، وَفِيهِ : فَضِيلَة تَعْلِيم الْعِلْم وَوَظَائِف الْعِبَادَات ، لَا سِيَّمَا لِمَنْ يَعْمَل بِهَا مِنْ الْمُتَعَبِّدِينَ وَغَيْرهمْ ، وَالْمُرَاد بِمِثْلِ أَجْر فَاعِله . أَنَّ لَهُ ثَوَابًا بِذَلِكَ الْفِعْل كَمَا أَنَّ لِفَاعِلِهِ ثَوَابًا ، وَلَا يَلْزَم أَنْ يَكُون قَدْر ثَوَابهمَا سَوَاء .

٢- فضائل الدعوة والدلالة على الخير :

أولاً : أن له مثل أجر فاعله .

لحديث الباب .

وللحديث الآتي (مَنْ دَعَا إِلَى هُدَىً ، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَه ...) .

ثانياً : استجابة لأمر الله .

لقوله تعالى (وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْر) .

ثالثاً : استجابة لأمر الرسول الله ﷺ بالتبليغ .

قال ﷺ (بلغوا عني ولو آية) رواه البخاري .

والمبلغ لكلام النبي ﷺ وهديه ، دعا له النبي ﷺ بنضارة الوجه في قوله (نضر الله امرءاً سمع شيئاً فبلغه كما سمع فرُبَّ مبلغٍ أوعى من سامع) رواه الترمذي .

رابعاً : سبب للفلاح .

قال تعالى (وَلْتَكُن مِّنكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) .

خامساً : أنها أفضل الأعمال وأحسن الأقوال .

قال تعالى (وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحاً) .

قال السعدي : هذا استفهام بمعنى النفي المتقرر أي: لا أحد أحسن قولا. أي: كلاما وطريقة، وحالة (ممن دعا إلى الله) بتعليم الجاهلين، ووعظ الغافلين والمعرضين، ومجادلة المبطلين، بالأمر بعبادة الله، بجميع أنواعها،والحث عليها، وتحسينها مهما أمكن، والزجر عما نهى الله عنه، وتقبيحه بكل طريق يوجب تركه، خصوصا من هذه الدعوة إلى أصل دين الإسلام وتحسينه، ومجادلة أعدائه بالتي هي أحسن، والنهي عما يضاده من الكفر والشرك، والأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر.

سادساً : الدعوة إلى الخير مهمة سيد البشر .

قال تعالى (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُّنِيرًا) .

سابعاً : الداعية ينجو من عقوبة الدنيا بالظالمين .

قال تعالى (فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِ أَنجَيْنَا الَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ السُّوءِ وَأَخَذْنَا الَّذِينَ ظَلَمُواْ بِعَذَابٍ بَئِيسٍ بِمَا كَانُواْ يَفْسُقُونَ) .

ثامناً : أنها سبب للفوز بخيرية الأمة .

قال تعالى (كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ) .

قال ابن كثير : فمن اتصف من هذه الأمة بهذه الصفات دخل معهم في هذا الثناء عليهم والمدح لهم، كما قال قتادة: بلغنا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال : من سره أن يكون من تلك الأمة فليؤد شرط الله فيها , ومن لم يتصف بذلك أشبه أهل الكتاب الذين ذمهم الله بقوله (كَانُوا لا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُون) .

تاسعاً : أن فيها تهذيب للنفوس وتزكيةٌ لها .

كما قال تعالى في الحكمة من إرسال نبيه ﷺ (لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ...) . إذن يجب أن نعلم أن من أعظم واجبات الدعاة تزكية النفوس وتربيتها على المعاني الإيمانية والتربوية التي جاءت في الشريعة الإسلامية .

عاشراً : أنها سبب لثناء الرب عز وجل واستغفار الملائكة وسائر المخلوقات .

قال ﷺ (إن الله و ملائكته حتى النملة في جحرها و حتى الحوت في البحر ليصلون على معلم الناس الخير) .

قال العلماء : الصلاة من الله تعني (الثناء) ومن الملائكة وغيرهم من المخلوقات تعني (الاستغفار) , وما أعجب هذا الحديث لمن تأمله , أن تفوز بثناء الرب تعالى , واستغفار الملائكة الذين لا يعلم عددهم إلا الله تعالى .

الحادي عشر : أنها سبب للفوز بدعوة النبي ﷺ .

حيث قال ﷺ (نضر الله امرءا سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره) .

قال ابن القيم رحمه الله تعالى : فمن قام بهذه المراتب الأربع دخل تحت هذه الدعوة النبوية المتضمنة لجمال الظاهر والباطن .

٣- ثمرات الدعوة والدلالة على الخير :

أولاً : تحقيق الحكمة والغاية التي من أجلها خلق الله الخلق، وهي عبادته وحده لا شريك له ومعرفته بأسمائه وصفاته .

قال تعالى (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ) .

والعبادة: اسم جامع لكل ما يحبه الله ويرضاه من الأقوال والأعمال الظاهرة والباطنة، وفي الدعوة توضيح وشرح لهذه العبادة وحث للناس على التزامها وترك ما يخلفها جزءاً أو كلاً، وبيان للأجور العظيمة المرتبة على القيام بهذه العبادة، وهذا هو المقصود الأعظم من الدعوة إلى الله.

ثانياً : ومن ثمرات الدعوة أيضاً: بلوغ الدعوة الإسلامية إلى الناس وظهور أحكام الشريعة ومعرفة الخير من الشر .

وفي ذلك قيام للحجة على العباد قال سبحانه (رُّسُلاً مُّبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلاَّ يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ) .

ثالثاً : ومن ثمراتها أيضاً: تكثير الأمة المحمدية الذي هو تحقيق لما تمناه النبي صلى الله عليه وسلم، وهو أن يكون أكثر الأنبياء أتباعاً .

كما في الحديث المخرج في الصحيحين (ما من الأنبياء نبي إلا أعطي من الآيات ما مثله آمن عليه البشر، وإنما كان الذي أوتيته وحياً أوحاه الله إلي فأرجو أني أكثرهم تابعاً يوم القيامة) .

رابعاً : ومنها حل المشكلات المتعلقة بالمجتمعات فكرياً واجتماعياً وخلقياً وسلوكياً وغيرها التي بقاؤها هو من أسباب الدمار والهلاك .

لأن الإنسان إذا سار بعقله وهواه وعزل نفسه عن الوحي السماوي فإنه لابد هالك، والدعوة هي: بيان لطريق النجاة للبشر جميعاً، ودين الله هو الهادي إلى كل خير، وهو الدواء الناجع لكل أمراض البشر الفكرية والسلوكية وغيرها .

قال الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءتْكُم مَّوْعِظَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَشِفَاء لِّمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِّلْمُؤْمِنِينَ * قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ) .

وقال سبحانه (وَمَنْ أَعْرَضَ عَن ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكاً وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى (١٢٤) قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنتُ بَصِيراً (١٢٥) قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنسَى (١٢٦) وَكَذَلِكَ نَجْزِي مَنْ أَسْرَفَ وَلَمْ يُؤْمِن بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَعَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ وَأَبْقَى) .

خامساً : ومن ثمرات الدعوة الوصول إلى بناء مجتمع تتمثل فيه جميع صفات المثالية والقدوة قدر الإمكان .

قال ﷺ (مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد، إذا اشتكى منه شيء تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى).

سادساً : ومن ثمرات الدعوة أيضاً دلالة الناس على الخير والفلاح وهدايتهم إلى طريق السعادة الذي نهايته الجنة، وتحذيرهم من الشر والبوار والخسران الذي نهايته النار .

قال الله سبحانه (فَإِنَّمَا يَسَّرْنَاهُ بِلِسَانِكَ لِتُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ وَتُنذِرَ بِهِ قَوْمًا لُّدًّا) .

وقال جل وعلا (قُلْنَا اهْبِطُواْ مِنْهَا جَمِيعاً فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُم مِّنِّي هُدًى فَمَن تَبِعَ هُدَايَ فَلاَ خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلاَ هُمْ يَحْزَنُونَ * وَالَّذِينَ كَفَرواْ وَكَذَّبُواْ بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) .

وقال سبحانه (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَنزَلَ عَلَى عَبْدِهِ الْكِتَابَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُ عِوَجَا «١» قَيِّماً لِّيُنذِرَ بَأْساً شَدِيداً مِن لَّدُنْهُ وَيُبَشِّرَ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْراً حَسَناً «٢» مَاكِثِينَ فِيهِ أَبَداً «٣» وَيُنذِرَ الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَداً) .

سابعاً : وفي الدعوة جلب للمصالح وتكثيرها ودفع للمفاسد وتقليلها في المجتمعات بقدر الإمكان.

ثامناً : وفي الدعوة حياة للقلوب، ففيها تنشيط للخاملين وتذكير للغافلين وزيادة إيمان المؤمنين، وفيها كبت لأهل الأهواء والمبطلين وإغاظة للكافرين.

تاسعاً : وفي القيام بالدعوة إلى الله تعالى واستمرارها على جميع الوجوه وفي كل الأحوال ثبات للحق، ونصرة للدين، وبقاء للطائفة المنصورة الموعودة بالظهور والغلبة على كل من خالف الدين الحق من أهل البدع والملل وأصحاب الشهوات والشبهات في كل زمان ومكان كما قال النبي ﷺ في الحديث المخرج في الصحيحين: (لا تزال طائفة من أمتي ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتي أمر الله وهم كذلك).

١٧٤- وعن أَبي هريرة ﷺ : أَنَّ رَسُول الله ﷺ ، قَالَ : « مَنْ دَعَا إِلَى هُدَىً ، كَانَ لَهُ مِنَ الأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَه ، لاَ يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيئاً ، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلاَلَةٍ ، كَانَ عَلَيهِ مِنَ الإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ ، لاَ يَنْقُصُ ذلِكَ مِنْ آثَامِهِمْ شَيئاً » رواه مسلم .

مَنْ دَعَا إِلَى هُدَىً) الهدى الطاعة والعلم النافع .

(**أُجُورِ**) جمع مفردها أجر وهو الثواب .

١- الحديث دليل على فضل من دعا إلى هدى ، وأن له مثل أجر من تبعه .

قال السفاريني : فأخبر ﷺ أن المتسبب إلى الهدى بدعوته له من الأجر مثل أجر من اهتدى به ، وكذلك المتسبب إلى الضلالة عليه من الوزر مثل وزر من ضل به ، لأن الأول بذل وسعه وقدرته في هداية الناس ، والثاني بذل قدرته في ضلالتهم ، فنزل كل واحد منهما منزلة الفاعل التام . (غذاء الألباب) .

قال السعدي : هذا الحديث - وما أشبهه من الأحاديث - فيه : الحث على الدعوة إلى الهدى والخير ، وفضل الداعي ، والتحذير من الدعاء إلى الضلالة والغي ، وعظم جرم الداعي وعقوبته .

والهدى : هو العلم النافع ، والعمل الصالح .

فكل من علم علما أو وجه المتعلمين إلى سلوك طريقة يحصل لهم فيها علم : فهو داع إلى الهدى .

وكل من دعا إلى عمل صالح يتعلق بحق الله ، أو بحقوق الخلق العامة والخاصة : فهو داع إلى الهدى .

وكل من أبدى نصيحة دينية أو دنيوية يتوسل بها إلى الدين : فهو داع إلى الهدى .

وكل من اهتدى في علمه أو عمله ، فاقتدى به غيره : فهو داع إلى الهدى .

وكل من تقدم غيره بعمل خيري ، أو مشروع عام النفع : فهو داخل في هذا النص .

وعكس ذلك كله : الداعي إلى الضلالة .

فالداعون إلى الهدى : هم أئمة المتقين ، وخيار المؤمنين .

والداعون إلى الضلالة : هم الأئمة الذين يدعون إلى النار .

وكل من عاون غيره على البر والتقوى : فهو من الداعين إلى الهدى .

وكل من أعان غيره على الإثم والعدوان : فهو من الداعين إلى الضلالة . (بهجة قلوب الأبرار) .

٢- الحديث فيه التحذير والترهيب من الدعوة إلى الضلالة ، وهذا يعم من دعا بقوله ومن بفعله .

فقد روى البخاري عَنْ عَبْدِ اللهِ ، رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ (لاَ تُقْتَلُ نَفْسٌ ظُلْمًا إِلاَّ كَانَ عَلَى ابْنِ آدَمَ الأَوَّلِ كِفْلٌ مِنْ دَمِهَا لأَنَّهُ أَوَّلُ مَنْ سَنَّ الْقَتْلَ) .

قال النووي (الْكِفْل) : بِكَسْرِ الْكَاف : الْجُزْء وَالنَّصِيب ، وَقَالَ الْخَلِيل : هُوَ الضِّعْف .

وَهَذَا الْحَدِيث مِنْ قَوَاعِد الْإِسْلَام ، وَهُوَ : أَنَّ كُلّ مَنْ اِبْتَدَعَ شَيْئًا مِنْ الشَّرّ كَانَ عَلَيْهِ مِثْل وِزْر كُلّ مَنْ اِقْتَدَى بِهِ فِي ذَلِكَ الْعَمَل مِثْل عَمَله إِلَى يَوْم الْقِيَامَة ، وَمِثْله مَنْ اِبْتَدَعَ شَيْئًا مِنْ الْخَيْر كَانَ لَهُ مِثْل أَجْر كُلّ مَنْ يَعْمَل بِهِ إِلَى يَوْم الْقِيَامَة ، وَهُوَ مُوَافِق لِلْحَدِيثِ الصَّحِيح : " مَنْ سَنَّ سُنَّة حَسَنَة وَمَنْ سَنَّ سُنَّة سَيِّئَة " وَلِلْحَدِيثِ الصَّحِيح " مَنْ دَلَّ عَلَى خَيْر فَلَهُ مِثْل أَجْر فَاعِله " وَلِلْحَدِيثِ الصَّحِيح : " مَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى هُدًى وَمَا مِنْ دَاعٍ يَدْعُو إِلَى ضَلَالَة " . وَاَللَّهُ أَعْلَم .

١٧٥- وعن أَبي العباس سهل بن سعد الساعدي ﷺ : أَنَّ رَسُول الله ﷺ ، قَالَ يوم خَيبَر : ((لأُعْطِيَنَّ الرَّايَةَ غَداً رجلاً يَفْتَحُ الله عَلَى يَدَيهِ ، يُحبُّ اللهَ وَرَسولَهُ ، ويُحِبُّهُ اللهُ وَرَسُولُهُ)) ، فَبَاتَ النَّاسُ يَدُوكُونَ لَيْلَتَهُمْ أَيُّهُمْ يُعْطَاهَا . فَلَمَّا أصْبَحَ النَّاسُ غَدَوْا عَلَى رسولِ الله ﷺ كُلُّهُمْ يَرْجُو أنْ يُعْطَاهَا . فَقَالَ : ((أينَ عَلِيُّ ابنُ أَبي طالب ؟))فقيلَ: يَا رسولَ الله، هُوَ يَشْتَكي عَيْنَيهِ . قَالَ : ((فَأَرْسِلُوا إِلَيْه)) فَأُتِيَ بِهِ فَبَصَقَ رسولُ الله ﷺ في عَيْنَيْهِ ، وَدَعَا لَهُ فَبَرِىءَ حَتَّى كأنْ لَمْ يكُن بِهِ وَجَعٌ ، فأعْطاهُ الرَّايَةَ . فقَالَ عَليٌّ ﷺ : يَا رَسُول اللهِ ، أقاتِلُهمْ حَتَّى يَكُونُوا مِثْلَنَا ؟ فَقَالَ : ((انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ حَتَّى تَنْزِلَ بسَاحَتهمْ ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الإسْلاَمِ ، وَأخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ تَعَالَى فِيهِ ، فَوَالله لأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلاً وَاحِداً خَيرٌ لَكَ مِنْ حُمْرِ النَّعَم)) مُتَّفَقٌ عَلَيهِ .

قوله : ((يَدُوكُونَ)) : أي يَخُوضُونَ وَيَتَحَدَّثُونَ . وقوله : ((رِسْلِكَ)) بكسر الراءِ وبفتحها لغتانِ ، والكسر أفصح .

١-الحديث تقدم شرحه ، وفيه الفضل العظيم لمن اهتدى على يديه رجل واحد ، وأن ذلك خير من حمر النعم .

قال النووي : قَوْلُهُ ﷺ (فَوَاَللَّهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللَّه بِك رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَك مِنْ أَنْ تَكُونَ لَك حُمْرُ النَّعَم)

هِيَ الْإِبِلُ الْحُمْر ، وَهِيَ أَنْفُسُ أَمْوَال الْعَرَب ، يَضْرِبُونَ بِهَا الْمَثَل فِي نَفَاسَةِ الشَّيْء ، وَأَنَّهُ لَيْسَ هُنَاكَ أَعْظَم مِنْهُ . وَقَدْ سَبَقَ بَيَانُ أَنَّ تَشْبِيهَ أُمُور الْآخِرَة بِأَعْرَاضِ الدُّنْيَا إِنَّمَا هُوَ لِلتَّقْرِيبِ مِنْ الْأَفْهَام ، وَإِلَّا فَذَرَّةٌ مِنْ الْآخِرَة الْبَاقِيَة خَيْرٌ مِنْ الْأَرْض بِأَسْرِهَا ، وَأَمْثَالهَا مَعَهَا لَوْ تُصُوِّرَتْ . وَفِي هَذَا الْحَدِيث بَيَان فَضِيلَة الْعِلْم ، وَالدُّعَاء إِلَى الْهُدَى ، وَسَنّ السُّنَن الْحَسَنَة . (نووي) .

٢- قوله (خير لك من حمر النعم) .

قال ابن حجر : قوله (حمر النعم) بسكون الميم من حمر وبفتح النون والعين المهملة وهو من ألوان الإبل المحمودة .

قيل : المراد خير لك من أن تكون لك فتتصدق بها .

وقيل تقتنيها وتملكها وكانت مما تتفاخر العرب بها . (فتح الباري) .

٣- بوب له أبو داود: باب فضل نشر العلم .

٤- الحديث يدل على فضل العلم والتعليم وشرف منزلة أهله بحيث إذا اهتدى رجل واحد بالعالم كان ذلك خيراً له من حمر النعم، وهي خيارها وأشرفها عند أهلها، فما الظن بمن يهتدي به كل يوم طوائف من الناس .

٥-وفي هذا الحديث حث على الدعوة إلى الله عز وجل .

٦- وفيه الترغيب في التسبب لهداية من كان على ضلالةٍ، وأن ذلك خيرٌ للإنسان من أجل النعم الواصلة إليه في الدنيا .

٧- وفيه بيان فضيلة الدعاء إلى الهدى وسن السنن الحسنة .

٨- أن تشبيه أمور الآخرة بأعراض الدنيا إنما هو للتقريب من الأفهام، وإلا فذرة من الآخرة الباقية خير من الدنيا بأسرها وأمثالها معها لو تصورت .

٩-قد بوب له البخاري : باب فضل من أسلم على يديه رجل .

١٧٦- وعن أنس ﷺ : أن فتىً مِنْ أسلم ، قَالَ : يَا رَسُول الله ، إِنِّي أُرِيدُ الغَزْوَ وَلَيْسَ معي مَا أَتَجَهَّز بِهِ ، قَالَ : « ائتِ فُلاَناً فإنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ فَمَرِضَ » فَأَتَاهُ ، فَقَالَ: إنَّ رسولَ الله ﷺ يُقْرِئُكَ السَّلامَ ، وَيَقُولُ : أَعْطِني الَّذِي تَجَهَّزْتَ بِهِ ، فَقَالَ : يَا فُلاَنَةُ ، أَعْطِيهِ الَّذِي تَجَهَّزْتُ بِهِ ، وَلا تَحْبِسي مِنْهُ شَيئاً ، فَوَاللهِ لاَ تَحْبِسِين مِنْهُ شَيئاً فَيُبَارِكَ لَكِ فِيهِ . رواه مسلم .

(**أن فتىً مِنْ أسلم**) قبيلة معروفة .

(**وَلَيْسَ معي مَا أَتَجَهَّز بِهِ**) قال القرطبي: جهاز الغازي: ما يحتاج إليه في غزوه، من العُدة ، والسلاح، والنفقة، وغير ذلك .

(**قَالَ : ائتِ فُلاَناً فإنَّهُ قَدْ كَانَ تَجَهَّزَ**) أي : تأهب للخروج للجهاد .

(**فَمَرِض**) أي : بعد ما تجهز للخروج للجهاد مرض مرضاً منعه من الخروج .

(**فَقَالَ : يَا فُلاَنَةُ ، أَعْطِيهِ الَّذِي تَجَهَّزْتُ بِهِ**) وفي رواية أحمد (ادفعي إليه ما جهزتني به) .

(**وَلا تَحْبِسي مِنْهُ شَيئاً**) أي : لا تنقصي من ذلك الجهاز شيئاً لا كثيراً ولا قليلاً ، بل أعطيه كله .

١- الحديث دليل على فضل الدلالة على الخير .

٢- الحديث دليل على فضل من جهز غازياً ، وسيأتي حديث (من جهز غازياً فقد غزا) .

٣- حرص الصحابة على الجهاد في سبيل الله .

٤- فضل التعاون على الخير ونشر الدين .

٥- قال النووي : فِيهِ : أَنَّ مَا نَوَى الْإِنْسَانُ صَرْفَهُ فِي جِهَة بِرّ فَتَعَذَّرَتْ عَلَيْهِ تِلْكَ الْجِهَة يُسْتَحَبّ لَهُ بَذْله فِي جِهَة أُخْرَى مِنْ الْبِرّ ، وَلَا يَلْزَمهُ ذَلِكَ مَا لَمْ يَلْتَزِمهُ بِالنَّذْرِ .

٦- لا يجب الجهاد على المريض .

والله أعلم .

أخوكم

سليمان بن محمد اللهيميد

السعودية- رفحاء